عليه السلوات قال « أنا أولى بالشك من ابراهيم » ونحن ألسنا أولى بالشك من الأنبياء ؟.. ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزالون تسئلون عمن خلق الله ، فقولوا : إن الله خالق كل شيء ، وهو قبل كل شيء ، وبعد كل شيء » وإذن فلا تنافي بين الشك والدين ، كما لا تنافي بين الشك واليقين ، لأن اليقين لا يزال بالشك كما يقول العسكري .

ومن فلاسفة الاسلام من اتخذ الشك المنهجي عكازا إلى نور اليقين وزعيمهم فخر الرازي ، فقد كان أستاذنا المرحوم (كراوس) المستشرق الألماني يعتبره زعيم المتشككين في الإسلام . وقد اصطنع المنهج الشكي أو الشك المنهجي حجة الاسلام أبو حامد الغزالي كما هو واضح في كتابه أو اعترافاته «المنقذ من الضلال». وعند الواقفية من الجهمية مسحة من الشك في تعاليمهم لاتصال جهم بن صفوان بالشكاك الهنود ، وسميت بالواقفية لأنها لم تقل بأن القرآن مخلوق أو ليس .

وكان الغزالي يعمل للعامة اعتبارا فوضع « إلجام العوام عن علم الكلام » وكتب السيوطي «صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام» وما أكثر تآمر الجهل والجمود على العلم والحرية، فقد اتخذ ديكارت منهجا للشك بنية الوصول إلى الحقيقة والكشف عن القوانين العامة للعلوم وثار على خزعبلات المشايخ le doctes أو هيئة كبار العلماء في عصره . وكانت ثورته الفكرية قوامها هدم احتكار العلم فافتتح « المقال عن المنهج » بقوله « العقل أكثر الأشياء توزعا بين الناس بالعدل » وإذ خشي انقضاض العلماء الرسميين عليه قال «من أحسن الهروب عاش سعيدا» وكان لقواعد منهجه في الشك أبعد الأثر في توجيه الفكر الإنساني إلى أبعد الغايات ، ونابيه (كانت Kant) الذي نقد العقل ، وبيكون P Bacon) الذي هدم « أصنام العقل » ليبني على أنقاضها منهجا جديدا للتفكير والبحث في العلوم . وكذلك (بيل Bayle) و (مونتني Montagne) و (هيوم hume) وغيرهم من الشكاك المحدثين والأقدمين .

هذا هو نفوذ المذهب الفيروني في كل ماجد من بعده من أفكار حصرناها على نطاق واسع جدا يضيق المقام هنا عن ذكر تفاصيله وتقاريبه . أما أثر فيرون فقد كان مباشرا في تلاميذه الذين انخرطوا في مدارس للشك لكل واحدة لونها وصبغتها ، وإن كانوا يسمون les Zététiques كأنهم كانوا رواد الحقيقة ، فلما حاولوها ولم ينالوها سموا les Sceptique ولما تحيروا وتوقفوا حيالها سموا les Ephectiques، فعلقوا أحكامهم ، فسموا les Aporétiques لأنهم لم يطمئنوا إلى وجود الحقيقة التي أشكلت عليهم .

وكان أركاسيلاس وكارنياد أشهر المدرسة الاحتمالية ، وكان أنسيدام وأغريبا أشهر المدرسة الجدلية ، ثم جاءت أخيرا المدرسة التجريبية التي اشتهر فيها ميتودوت وسكستوس من الأطباء الشكاك أو الشكاك الأطباء الذين كانوا حربا على الفلاسفة والمناطقة والنيازقة ورجال الأخلاق وانتهوا إلى مذهبهم التجريبي في الشك الذي يقضي بالخضوع لتكاليف الطبيعة والرضوخ لقوانين الوطن وعوائده ومزاولة بعض الفنون ، واتباع ما تأتي به الظواهر .

محمد محمود زيتون

أحاديث عن جنوب الجزيرة

للاستاذ طه أحمد السنوسي

برهوت :

ذكر الامام أبو محمد عيسى الأندلسي في كتابه عيون الأخبار حكاية كان من بينها هذه العبارة : « ولكن سر إلى اليمن إلى واد في عدن يقال له (برهوت) وفيه بئر ... ويقول أبو محمد عبدالله الطيب بن عبد الله بن أحمد أبي مخرمة في مؤتنف الجزء الأول من تاريخ ثغر عدن بعد أن أورد حكاية الامام أبي محمد عيسى الاندلسي :

(كذا نقله عنه القاضي محمد بن عبد السلام الناشري في كتابه الوسوم بموجب دار السلام في صلة الوالدين والأرحام ، والمشهور أن برهوت واد بحضرموت ، وأن أرواح الفجار تأوي في بئر برهوت ، فإن صح ماذكره الأندلسي أنها بعدن ، فلعله السبب في اختصاص عدن بخروج النار الطاردة للناس إلى المحشر اه .

... ومن هذا نفهم أن ابن أبي مخرمة قد بنى استنتاجه باختصاص عدن بخروج النار الطاردة للناس إلى المحشر على كلام الأندلسي من أن برهوت واد في عدن ، وهو كلام واه لا يستند إلى حقيقة، وان أبي مخرمة نفسه يعلم أن برهوت وادبحضرموت، ويقول إن ذلك مشهور، ولكنه يريد أن يتلمس سبيلا لتعليل علة اختصاص عدن بخروج النار ، فيستوقف ما ذكره الأندلسي ، ويتلمس منه علة واهية متداعية الأركان ...

أما الفروبني فيقول في كتابه (عجائب المخلوقات) إن بئر برهوت على مقربة من حضر موت ...

أما الذي أريد أن أقوله هو أن برهوت في حضرموت على مقربة من قبر سيدنا هود عليه السلام ، وهو كهف من الجير ، وقد قامت منذ قديم الزمان شتى العقائد والخرافات حول هذا الكهف، وقدصدقها المؤرخون العرب، كما أخذها عنهم الكتاب الغربيون دون تمقيب أو تحقيق ...

وقد حقق صاحبا كتاب (حضرموت) وهما درميلن وويزمان البحث في بئر برهوت ذاك ، وعللا الروائح الخبيثة التي تنبثق منه بأنها ناشئة عن تبول الخفاش الذي يغطن هذا البئر ، ثم عن التحلل الصخري فيه ، وكانت هذه الروائح الكريهة مصدر اعتقاد بأنها نذير بموت الكفار ، بل إن البئر نفسها في المعتقدات القديمة مستكن أرواح الكفار ، وأرهب نقطة على سطح الغبراء ...

جنوب شبه الجزيرة في كتاب « الاسلام في العالم »:

وقد اطلعت منذ أمد ليس ببعيد ، على كتاب بالانجليزية للدكتور زكي علي تحت عنوان (الاسلام في العالم) وقد توقفت تجاه ما كتبه الدكتور الفاضل عن جنوب الجزيرة العربية في فصل (تحرير الإسلام) فرأيته يقول ماتعريبه :

بلاد العرب الانجليزية :

بالرغم من أن اسم بلاد العرب الانجليزية لم يظهر رسميا في أطلس جغرافي ، فإنها توجد في الحقيقة وتغطي أقاليم عربية كبيرة وهامة على الساحل الجنوبي لبلاد العرب ومنفذ البحر الأحمر وعلى طول ساحل الخليج الفارسي ، وكذا عدن ومحمية عدن مشتملة حضرموت ومسقط وعمان ومشيخة قطر والكويت وإمارة البحرين تحت الادارة البريطانية .

عدن :

وتقع شبه جزيرة عدن على الساحل العربي قرابة مائة ميل شرق باب المندب ، وكانت عدن مضافة كمتلكة بريطانية في عام ١٩٣٩ ، وكانت سابقا محكومة من الهند ، بيد أنها أصبحت مستعمرة بريطانية في ابريل ١٩٣٧ ، وهي تحكم المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، وتمتلك أهمية استراتيجية عظيمة، فهي كانئة كجبل طارق للبحر الأحمر ، وقد سامدخل قناة السويس بعدن إلى مركز ذي أهمية تجارية ، وهو مخرج قيم للتجارة مع بلاد العرب والبلاد القريبة ، وهو أيضا يشمل جزيرة بريم ومحمية عدن مقسمة إلى قسمين : محمية عدن الغربية ومحمية عدن الشرقية ، والأولى تحتوي على تسع عشرة سلطنة ، وسلطان لحج رئيس المحمية الأول، وتشمل محمية عدن الشرقية حضرموت (محتوية دولة القعيطي لشهرا والمكلا ودولة الكثيري لسيام) وسلطنة مهرة لكش وسوكترا وسلطنات الواهيدي لبيرعلي وبالهاف ومشيخات أركاوهورا . . وسلطان شهر والمكلا هو رئيس محمية عدن الشرقية، وحضرموت هي الأكثر أهمية والأحسن نظاما لهذه المساحات ، وحددت حضرموت من الشرق بسلطنة المهرة ومن الغرب بسلطانات الواهيدي . .

ومن الاتصال الطارف بالعالم الخارجي والنضارات الحديثة ما هو داخل في هذا البلد الصحراوي ، وكل هذه السلطنات تقع في محمية معاهدة الصداقة مع الحكومة الانجليزية ، وتحت إدارة المستوطنين الانجليز أو الحكام — كما في عدن — »

ولسنا نعلم فيما نعلم هذا التقسيم الذي وضعه الدكتور المؤلف لعدن شرقية وغربية ، وهل الانكليز في نظره قد اتخذوا جنوب الجزيرة محمية واحدة أطلقوا عليها محمية عدن ، ثم قسموها قسمين: الشرقية والغربية ؟ وهل يجوز أن تمحى أسماء حضرموت ولحج وغيرها لتضع فوقها اسم عدن ، ما دام الانجليز يحتلون عدن الصغيرة .

ويرى الدكتور زكى على أن محمية عدن (الغربية) تحتوى على تسع عشرة سلطنة ، ونحن نعلم أن سلطنات جنوب الجزيرة عشرة سلطنات ، فلو زدنا — على رأى الدكتور — عدد سلطنات محمية عدن (الشرقية) ، فنظن أن المجموع سيكون أربعين أو خمسين سلطنة .

وبعد ذلك أقول إن ماذكرته من كلام صاحب (الاسلام فى العالم) قول أدعه لأهل الجنوب ليروا فيه رأيهم . . .

فقرات عربية :

. . . يقول الشيخ أبو مخرمة : (اعلم أن عدن بلدة قديمة يقال أن قابيل لما قتل أخاه هابيل خاف من أبيه آدم ، ففر من أرض الهند إلى عدن وأقام هو وأهله بجبل صيره ، وأنه لما استوحش بمفارقة الوطن وغيره ، تبدى له إبليس ومعه شيء من آلات اللهو كالزامير ونحوها ، فكان يسليه باستعمالها ، فهو أول من استعمل ذلك على ماقيل) . . وإن كان إبليس أول من استعمل آلات اللهو فى عدن ، فكان من الحقق أنها تصير فى أيامنا هذى آلات شر وشؤم لا آلات فن بديع ، وعلى حد قول أبى مخرمة ليس من الضرورى أن نثبت أن ابليس هو أول من استعمل تلك الآلات وهو الذى كان يلهى قابيل (لما قتل أخاه هابيل وخاف من أبيه آدم) .

والذى نريد أن نقوله إن عدن هذه التى كان لها التاريخ الطويل القديم ، قد بدأت اليوم نهضتها نابضة حية وستجلوها الأيام عن قريب فى ثوب قشيب من الحضارة والمدنية والرقى

ولقد سعدت بكلمات الأستاذ الفاضل أنور المعداوى عن نهضة عدن حيث قال فى إحدى تعقيباته بالرسالة الزاهرة : (الله يشهد أننى سعيد بهذه النهضة ؛ لأنها وثبة رائعة من وثبات الشباب العربى فى جنوب الجزيرة ، ومتفائل بها كل التفاؤل ، لأننى أومن كل الايمان بأن النهضات الأدبية ما هى إلا مقدمات طبيعية لنهضات أخرى) . .

ويمتاز الشباب المدنى بالوعى العربى والشعور الصميم ، ويقص لى أحد الشبان المدنيين المخلصين ما صنعوه باليهود بمناسبة فلسطين ، فيبعث إلى ويقول : (وهناك بعض مناظر لمنازل اليهود المحروقة التى دمرناها هى وما كنها مع أننا لا نملك سلاحا ؛ لأن السلاح فى مستعمراتنا ممنوع ، وإذا اكتشف أحد من الشرطة أن لدى أحدنا مسدساً يأخذه مباشرة ليقضى فى السجن بعض السنين ، وعندما نشبت الحرب فى فلسطين ، أغرتنا وكان ذلك فى يوم الأربعاء ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ وقمنا بمظاهرات إلى حارة اليهود — عليهم اللعنة — وعندما شاهدونا فى هذه المظاهرة أعلنوا منارلهم وجلسوا فى منافذها مستعدين للقتال ، مع أنه من الممنوع لهم أن يحملوا السلاح ، ونحن المدنيين ليس لدينا سوى عصيان الكشافة ، وعندما ظهرنا فى أول سكة من سكك اليهود وهى بالقرب من سكة شركة الطيران رميت القوارير فوق رؤوسنا ، وأصيب منا اثنان ، وعلى هذا دارت الدائرة عليهم ، وأخذنا كمية من البترول وأحرقنا جميع سياراتهم الفخمة ، وكان ذلك بالمساء ، أما فى الصباح فقد خرجنا أيضا فى مظاهرات أخرى وقد خرج إلينا الجنود البريطانيون بأسلحتهم ومصفحاتهم على أهبة الاستعداد لتدميرنا ، فلم نبال بشيء من هذا كله ومضينا وعندما مررنا بسكة من سكك اليهود لاحظنا الجند الانجليز ، ولكن يهودياً من فوق نافذته أخذ غدارته أطلق ثلاث رصاصات على ضابط بريطانى . فقضى عليه ، ومن ثم سمح الانجليز لنا بالهجوم ، وكان النصر حليف المدنيين تلك الثلة العربية الموفقة . . .)

المحميات على لسان الجفرى :

أسدل ستار من التمويه والخطأ على (المحميات) وتسميتها ووجودها ، لذا رأيت أن أورد فى هذه الأحاديث نص ما ذكره السيد الجفرى مستشار عظمة سلطان لحج عنها فى مذكرة سلطنة لحج التى قدمت إلى الوزارة المصرية فى ١٨ فبراير سنة ١٩٤٨ : (تقع مملكة اليمن فى الركن الجنوبى من جزيرة العرب ، وإلى الجنوب منها تقع محمية عدن ، وسلطنة لحج وسلطنة حضرموت إلى إمارات أخرى اشتهرت على ألسنة بعض الكتاب منذ عهد غير بعيد باسم (المحميات) وهى تسمية لا تطابق الوضع السياسى الصحيح لتلك البلاد التى يتمتع كثير منها بنوع من الاستقلال والحرية .